الدلالةُ الأدبية في تفسيرِ الإمام الحسن العسكري عليه السلام إيحاءُ المفردةِ مثالا

سارة علي هادي العبودي

أ.د. أمجد حميد الفاضل

جامعة كربلاء/ كلية العلوم الاسلامية

Literary significance in the interpretation of Imam al-Askari peace be upon him، the phonetic suggestion of the word as an example

Sarah Ali Hadi Al-Aboudi

Prof.Dr. Amjad Hamid Al-Fadhel

College of Islamic Sciences / Karbala University

Email: sara ali00246@gmail.com

ملخص البحث

الدلالة بشكل عام هي المفهوم المتحصل إجمالًا من النصّ ، أو العبارة ولا تتعلق بالمفردة الواحدة ، والدلالة في اللغة ، أو كما جاء في المعاجم لاتخرج عن مفهوم الدلالة المادية المتصلة بمفهوم الدليل الذي يرشد الناس الى المسالك فهي باختصار الارشاد ، أمّا في الاصطلاح فيمكن القول عنها بشكل عام المفهوم المتحصل اجمالا من النص، أو العبارة ولا تتعلق بالمفردة الواحدة، ونحن في هذا البحث ليس بصدد دراسة الدلالة من جهتها اللغوية ، وإنّما ندرس الدلالة الأدبية والتي تخص المفهوم الكلي المستفاد من النص من جهة اختيار الأديب وذوقه ، ولايمكن أنْ يشترك بها أهل اللسان قاطبة فيدخل ضمنها الأسلوب والاختيار، فهي سمة خاصة للأديب يعبّر فيها عن حاجة معينة لايمكن لأديب غيره أنْ يعبر عن هذه الحاجة بالطريقة نفسها، وإذا كانت الدلالة في الاتجاه اللغوي تتردد بين النحوي والصوتي والصرفي ، والمعجمي وفقه اللغة وعلم اللغة ، فإنّ الدلالة الأدبية تضم في مساحة اشتغالها الشرعية في ضمن النقد الادبي الدلالة الايحائية والاسلوبية ، والنسقية والسياقية ، وهي كلّها مباحث دلالية خارجة عن الاستعمال الأداتي الوظيفي للغة ، ناشئة من البعد الجمالي الأدبي فاعلة في النسيالفني الذاتي الأدبي ، إنّ المفردة لها معنى معجمي ،ثابت إلّا إنّ هناك مفردات ذات قدرة خاصة على الايحاء فيكون لها معنى آخر إضافة للمعجمي ، وليس بالضرورة مختلف عنه وهذه من ميزات المفردات القرآنية التي تعتبر ذات مخزون دلالي جميل.

الكلمات المفتاحية : الدلالة، الاسلوب، المفردة القرآنية،

Abstract

Significance in general is the concept obtained as a whole from the text or phrase and is not related to a single word، and the signification in the language or as stated in the dictionaries does not depart from the concept of physical signification related to the concept of the guide that guides people to the paths. It is obtained as a whole from the text or phrase and is not related to a single word. In this research، we are not about to study the semantics from its linguistic side. Rather، we study the literary connotation، which is related to the overall concept learned from the text in terms of choosing the writer and his taste. Especially for the writer to express a specific need that no other writer can express aldilalat bishakl eamin hi almafhum almutahasil 'ijmalan min alnasi 'aw aleibarat wala tataealaq bialmufradat alwahidati، waldilalat fi allughat aw kama ja' fi almaeajim liaitakharaj ean mafhum aldilalat almadiyat almutasilat bimafhum aldalil aladhi yurshid alnaas alaa almasalik fahi biaikhtisar alairshadi، ama fi alaistilah fayumkin alqawl eanha bishakl eamin almafhum almutahasil aijmalan min alnasi aw aleibarat wala tataealaq bialmufradat alwahidat wanahn fi hadha albahth lays bisadad dirasat aldilalat min jihatiha allughawiat wanama

nadrus aldalalat aladabiat walati takhusu almafhum alkuliya almustafad min alnasi min jihat aikhtiar aladib wadhawqih walayumkin an yashtarik biha ahl allisan qatibatan fayadkhul dimnaha alauslub walaikhtiar fahi simat khasat liladib liltaebir ean hajat mueayanat layumkin ladib ghayrih an yaebur.

Keywords: significance, style, Quranic vocabulary.

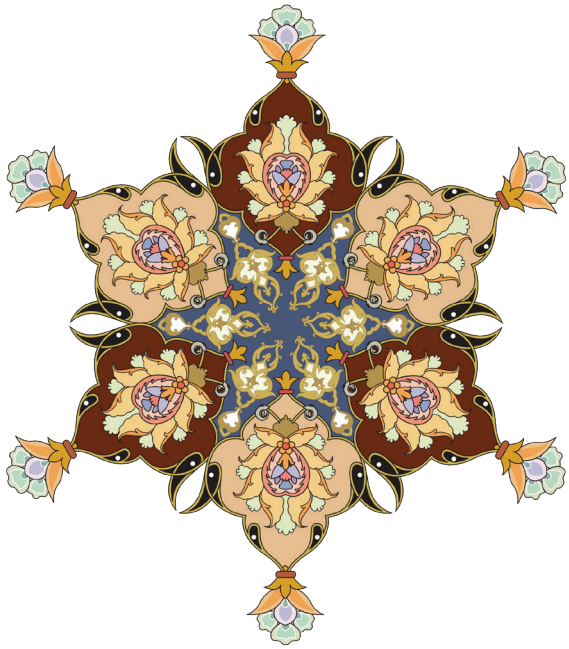

المطلب الاول : الدلالة الأدبية

الدلالة بشكل عام هي المفهوم المتحصل إجمالًا من النص، أو العبارة ولا تتعلق بالمفردة الواحدة.

وهي قسمان: الدلالة اللغوية والتي تُفهم من النص من جهة اللغة، أي أنَّها مفهوم ثابت مشترك بين أهل اللسان الواحد مثلا الفاعل: من قام بالفعل إذن دلالة الفاعل وحكمه الرفع هنا لغوية وعلامة الرفع لازمة ؛ لأنَّها قاعدة ثابتة لا تتغير فساجد قام بفعل السجود ومستقيم قام بفعل الاستقامة[١]، والقسم الثاني وهو الدلالة الأدبية والتي سنفصل الحديث عنها في هذا البحث.

الدلالة في اللغة : جاء في المعاجم لا تخرج عن مفهوم الدلالة المادية المتصلة بمفهوم الدليل الذي يرشد الناس إلى المسالك فهي باختصار «الإرشاد»[٢].

أما في الاصطلاح : وبما إنَّنا لم نكن نقصد دراسة علم الدلالة من جهته اللغوية فلا بدَّ لها من تخصيص في الاستعمال الاصطلاحي، بإضافة الى ما بعدها مثل دلالة الالتزام أو دلالة التضمن ، أو الدلالة العقلية أو الذاتية وغيرها[٣].

أمّا تعريف علم الدلالة بحسب ما قال «بالمر» فهو : «مجموعة من الدراسات التي تهدف إلى استعمال اللغة بالنظر إلى وجوه مختلفة وكثيرة من التطبيق، وإلى السياق اللغوي وغير اللغوي، وبالنظر إلى المشتركين في المحادثة ومعرفتهم وممارستهم للأشياء ، والحالات التي تكون فيها المعلومة المحددة وثيقة الصلة»[٤].

(١) ينظر: الدلالة الأدبية، مراجعة ونقد وتأصيل، أ.د أمجد حميد عبد الله، بحوث المؤتمر العلمي الدولي الثالث، كلية الآداب –جامعة بابل، ٢٠١٩م.

(٢)علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، منقور عبدالجليل ،اتحاد الكتاب العرب، دمشق،٢٠٠١م.

(٣) ينظر : لسان العرب ، ابي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الافريقي، دار صادر بيروت، موقع المكتبة الالكترونية الشاملة لرفع الكتب، مادة دلل.

(٤) علم الدلالة : ف.ر.بالمر، ترجمة :د. صبري إبراهيم السيد، جامعة عين شمس، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٥م: ٧.

ومن ذلك يمكن القول أَنَّ الدلالة تنقسم في دراستها إلى: اتجاهين اللغوي، والأدبي، أو الدلالة الأدبية ، وهي موضع عن هذا البحث إذ تقع ضمن الاتجاه الأخير والتي تخص المفهوم الكلي المستفاد من النص من جهة اختيار الأديب وذوقه ، ولا يمكن أنْ يشترك بها أهل اللسان قاطبة فيدخل ضمنها الأسلوب ، والاختيار فهي سمة خاصة بالأديب للتعبير عن حاجة معينة لا يمكن لأحد غيره أنْ يعبر عن هذه الحاجة بالطريقة نفسها .

ويمكننا تعريف الدلالة الأدبية على أنّها : دراسة علم الدلالة وفق الاتجاه الأدبي المعني بالحمولة المعرفية والأدبية للنص ، والكلام للتأثير في المتلقي ترغيبًا، أو ترهيبًا ودراسة الدلالة الأدبية تساعد في معرفة أصول الكلام والمتكلم معه ، وما يحمله الكلام من مدركات وتساعد في سبر غور النص الأدبي وعدم الاكتفاء بدلالة الشكل [1].

وإذا كانت الدلالة في الاتجاه اللغوي تتردد بين النحوي والصوتي والصرفي والمعجمي ، وفقه اللغة وعلم اللغة ، فإنَّ الدلالة الأدبية تضم في مساحة اشتغالها الشرعية في ضمن النقد الأدبي الدلالة الإيحائية والأسلوبية ، والنسقية والسياقية وهي كلّها مباحث دلالية خارجة عن الاستعمال الأداتي الوظيفي للغة ، ناشئة من البعد الجمالي الأدبي فاعلة في النسيالفني الذاتي الأدبي [2].

وقد أشار الدكتور صلاح فضل إلى التباين بين الدلالة الأدبية والدلالة اللغوية وأهمية الأولى، ورد ذلك في مقدمة كتابه -إنتاج الدلالة الأدبية- : «إنَّ الفصول التي أجمعها تنقسم على الاتجاهين اللذين نادى بهما «نورثروب فراي» فالأول يتجه نحو بنية الأدب، والثاني نحو الظواهر الثقافية التي تمثل السياق الاجتماعي للأدب ، وترتكز أساسًا على مفهوم محدد للدلالة الأدبية ؛ باعتبارها لا تقتصر على معنى كلّ عنصر من العناصر التي تدخل

(١) ينظر : الدلالة الأدبية مراجعة ونقد وتأصيل، أ.م.د. أمجد الفاضل، جامعة كربلاء-كلية العلوم الإسلامية / قسم اللغة العربية، بحث مختار من محور قسم اللغة العربية في المؤتمر العملي الدولي الثالث لكيلة الآداب في جامعة بابل الموسوم ب(العلوم الإنسانية ومسارات المعرفة) ، ٢٠١٩م: ١٦.

(٢) ينظر: الدلالة الأدبية مراجعة ونقد وتأصيل: ١٦.

في تكوين العمل الأدبي ، ولا على شبكة العلاقات المتبادلة بينهما بل لا بد أنْ تشمل طريقة أدائها لوظائفها وكيفية انتظامها في هذا النسق لتحقيق فاعلية جمالية خاصة»[١] ؛ وعلى ذلك فأنَّ علم الدلالة ليس نقيضًا لعلم المعاني ولا وريثًا له [٢]؛ لذا فإنَّ عماد الأدب و النقد هو النصوص، لا الجمل وفنون الكلام ، ولا الأشكال النظرية المجردة [٣] وإنْ كانت هذه الأخيرة مهمة في تحديد إطار لغوي للدلالة بشكل عام، إلّا أنَّ الدلالة الأدبية تبقى ذات أهمية بالغة من جهة معرفة مقصد الكلام ، والفحوى المعرفي للنص.

إنّ المفردة ليست منعزلة عن محيطها اللغوي والثقافي، فهناك من يعتقد إنّ المفردة لها معنى معجمي فقط ، قد يكون ذلك لبعض المفردات وليس جميعها فمعظم المفردات لها معانٍ عديدة إضافة للمعجمي ؛ لذا نلاحظ أنَّ العلماء قد فرقوا بين هذه المعاني ، وهي المعاني الإدراكية أي تلك المعاني التي يدركها المجتمع لكثرة استعمالها وشيوعها بينهم ، فبذلك لا يوجد عناء في فهم هذه المفردات و يُطلق عليها تسمية المعاني المفهومية أو التصورية [٤].

أمّا المعاني الأخرى فمنها الإيحائية وهذه تتعلق بالكلمات ذات المقدرة الخاصة على الإيحاء بدلالة أخرى غير الإدراكية ، فلكل مفردة انطباع تتركه في نفس المتلقي بما توحيه له هي دون غيرها ، وهنا تبرز فاعلية المفردات في التعبير الأدبي وهذا شائع في القرآن الكريم، فالمفردات في القرآن توحي للمعنى المعجمي والمعنى الإضافي على ما جاء في المعجم [٥]، و «تحدد تلك الدلالة الإضافية حسب الوضع الذي تمثله الكلمة مع الوحدات الأخرى

(١) إنتاج الدلالة الأدبية، للدكتور صلاح فضل، مؤسسة المختار للطباعة والنشر، ط١، القاهرة: ٥.
(٢) ينظر : شظايا لسانية للدكتور مجيد الماشطة، دار السياب، لندن، ط١ ، ٢٠٠٨م :٢٦.
(٣) أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية لمحمد الشاوش/ المؤسسة العربية للتوزيع ،ط١ ، تونس، ٢٠٠١م : ١ / ٨٠.
(٤) ينظر : علم الدلالة، أحمد مختار عمر ، علم الكتب، القاهرة، ط٤ ، ١٩٩٣م :٣٦-٣٧.
(٥) ينظر : الآيات المتعلقة بالسيدة الزهراء عليها السلام دراسة في صور الدلالة الادبية لنهالكتاب والعترة، بحث مقدم الى مجلس كلية العلوم الاسلامية بجامعة كربلاء وهو جزء من متطلبات الحصول على شهادة الماجستير في لغة القرآن وآدابها رسالة، كرار جواد كاظم المفرجي، ٢٠١٩ م:١٠.

التي تنتظم معها في سياق واحد» [1]، فقد بدا من الدراسة في كتاب تفسير الإمام الحسن العسكري عليه السلام إنَّ المفردات التي فسّرها عليه الصلاة والسلام ، تحمل دلالة إيحائية لم نجدها في المعجم، أو كتب التفسير الأخرى إذ كانت الدراسة وفق منهج الكتاب والعترة والضابط لهذه الدلالة هو تفسير أهل البيت (عليهم الصلاة و السلام) ، بوصفهم المخاطبين بالقرآن المتولين تفهميه وتفسيره للناس، وإذا كان الكتاب الكريم قد ابتدأ بفاتحة الكتاب التي هي عدله في الميزان ، وكذلك كانت أول سورة بدأ الإمام بتفسيرها ، فليكن حديثنا عن إيحاء المفردة مبتدأ بهذه السورة أيضًا.

المطلب الثاني: تطبيقات

في قوله تعالى : ﴿الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[2]، فالمعنى الإدراكي لمفردة ربّ وأصلها (ربب) كما ورد في المعاجم ، وتعني المالك والسيد والخالق فربّ القوم من شرف بحفظهم من عدوهم [3]، وهناك من يعتقد أنهَّا لا تطلق من دون إضافة إلّا على الله تعالى «لا يقال الربّ مطلقًا إلّا لله تعالى المتكفل بمصلحة الموجودات...وكانت العرب تسمي الملوك أربابًا»[4] ، وكل مسؤول عن رعيته فهو ربّ، وقد استعملها القرآن الكريم بهذا المعنى في قوله تعالى: « يسقي ربه خمرا. أمّا المعنى الإيحائي لمفردة ربّ فهو ما ذكره أهل البيت عليهم الصلاة والسلام من تفسير لهذه الآية ، أو المفردة خصوصًا بأنَّ ربّ المضافة للعالمين تعني ، « رَبِّ الْعالَمِينَ وَ هُمُ الْجَمَاعَاتُ مِنْ كُلِّ مَخْلُوقٍ، مِنَ الْجَمَادَاتِ، وَ الْحَيَوَانَاتِ: فَأَمَّا الْحَيَوَانَاتُ، فَهُوَ يَقْلِبُهَا فِي قُدْرَتِهِ، وَ يَغْذُوهَا مِنْ رِزْقِهِ، وَ يَحُوطُهَا بِكَنَفِهِ وَ يُدَبِّرُ كُلًّا مِنْهَا بِمَصْلَحَتِهِ ، وَأَمَّا الْجَمَادَاتُ فَهُوَ يُمْسِكُهَا بِقُدْرَتِهِ، يُمْسِكُ مَا اتَّصَلَ مِنْهَا أَنْ يَتَهَافَتَ، وَ يُمْسِكُ الْمُتَهَافِتَ مِنْهَا

(١) أثر السياق في ترجيح دلالة النص لدى الزمخشري «الكشاف أنموذجا» ، دايد عبد القادر، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في اللغة والادب العربي-مشروع اللسانيات النصية-، جامعة وهران احمد بن بله، كلية اللغات والآداب والفنون،٢٠١٧ م-٢٠١٨م: ١٨ .

(٢) سورة الفاتحة ، الآية : ١ .

(٣) ينظر : لسان العرب ،فصل الراء، مادة رب:١/ ٨١ .

(٤) من أسرار اللغة في الكتاب والسنة ، معجم لغوي ثقافي ، للعلامة د. محمود محمد الطناحي ، المكتبة المكية ، دار الفتح للدراسات والنشر : ١ / ٧١٤.

(٤) ينظر: البرهان: ٣/ ١٧١/ ١٨٠.

أَنْ يَتَلَاصَقَ وَ يُمْسِكُ السَّماءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذنِهِ، وَ يُمْسِكُ الْأَرْضَ أَنْ تَنْخَسِفَ إِلَّا بِأَمْرِهِ، إِنَّهُ بِعِبَادِهِ رَءُوفٌ رَحِيمٌ... وَ(رَبِّ الْعالَمِينَ) مَالِكُهُمْ وَ خَالِقُهُمْ وَ سَائِقُ أَرْزَاقِهِمْ إِلَيْهِمْ، مِنْ حَيْثُ يَعْلَمُونَ، وَ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ.»[1].

وإذا أردنا التعمق لمعرفة دلالة هذه الكلمة وإيحاءاتها التي لا نجدها إلّا عند أهل البيت عليهم أفضل الصلاة والسلام ، ننظر كيف وظّفها الإمام علي ﷺ في دعاء كميل في قوله عليه الصلاة والسلام : « يا إِلهِي وَسَيِّدِي وَرَبِّي، أَتُراكَ مُعَذِّبِي بِنارِكَ بَعْدَ تَوْحِيدِكَ، وَبَعْدَما انْطَوى عَلَيْهِ قَلْبِي مِنْ مَعْرِفَتِكَ، وَلَهِجَ بِهِ لِسانِي مِنْ ذِكْرِكَ، وَاعْتَقَدَهُ ضَمِيرِي مِنْ حُبِّكَ، وَبَعْدَ صِدْقِ اعْتِرافِي وَدُعائِي خَاضِعًا لِرُبُوبِيَّتِكَ، هَيْهاتَ! أَنْتَ أَكْرَمُ مِنْ أَنْ تُضَيِّعَ مَنْ رَبَّيْتَهُ، أَوْ تُبَعِّدَ مَنْ أَدْنَيْتَهُ، أَوْ تُشَرِّدَ مَنْ آوَيْتَهُ، أَوْ تُسَلِّمَ إِلى البَلاءِ مَنْ كَفَيْتَهُ وَرَحِمْتَهُ»[2]، فهنا تتضح المعاني التي تنطوي تحت مفردة ربّ ، فالربّ لا يكون ربًّا إلّا إذا قام بوظائف معينة فهو يربي لا يضيع، و يُدني لا يُبّعد، و يأوي لا يُشرد، ويكفي ويرحم من البلاء، تلك أمور مهمة يجب أنْ تتوافر في الربّ سواء كان ربّ الأسرة، أم ربّ العائلة، أم ربّ العمل، أم ربّة البيت وكلّ حسبه وقدره، وحتما هي موجودة في الله عزوجل الواحد الأحد الذي خلق المخلوقات من جماد وحيوان، وتولاها برحمته وفضله وإحسانه ، فرزقهم وخصهم بفضائل توجب عليهم حمده وشكره ، بقولهم الحمد لله ومن أهم وأتمُّ النعم التي أنعمها الله علينا هي فضله بمحمد وآله صلوات الله عليهم أجمعين على كل المخلوقات.

ومن ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [3]، فالمحلق في سماء هذه الآية الكريمة ، سيجد جمالية في التعبير والمضمون فالدلالة الإدراكية لمفردة نستعين من المعونة والعون «كل شيء أستعنت به ، أو أعانك فهو عونك والصوم عون على العبادة وتقول : هؤلاء عونك، الذكر والأنثى والجميع سواء ويجمع أعوان....»[4]، وهو الظهير

(١) تفسيرالعسكري : ٣٨ . وتفسير البرهان في تفسير القرآن ، العلامة المحدث السيد هاشم البحراني، تحقيق : لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين : ١/ ١١٦ .
(٢) نص دعاء كميل ،إقبال الاعمال ، للسيد ابن طاووس : ٣ / ٣٣١ وما بعدها.
(٣) سورة الفاتحة ، الآية : ٥.
(٤) العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحق: د. عبد الحميد هنداوي، منشورات محمد علي بيضون، دار

والمساعد ،عوّن فلانًا : ساعده [1].

إذن الدلالة الإدراكية الشائعة عند أفراد المجتمع هي طلب المعونة والمساعدة والمؤازرة على قضاء الحاجة وإدارة الأمر، فنستعين الله على أداء كلّ شيء، أمّا الدلالة الإيحائية فهي طلب العون ولكن أي عون نحتاجه من الله وهو المتكفل بأمور الخلق ، وبقضاء حوائجهم وتوزيع أرزاقهم فعلامَ نستعين الله؟!، نحن مأمورون بالطاعة على أداء الفروض وهي من الأعمال التي كُلفنا بها ، وإنَّما لو رجعنا إلى أول حديث في تفسير الإمام العسكري عليه السلام في شروط ، وقواعد القراءة والاستماع للقرآن الكريم نلاحظ أنَّه عليه السلام صرّح بأنَّه يجب علينا الانقياد بالأمر والرسم للمعصوم ، فمثلًا أداء الصلاة كما يُصليها النبي صلى الله عليه وآله في قوله: « صلُّوا كما رأيتموني أُصلِّي»[2] فالأمر بأداء فرض الصلاة من الله تعالى ، أمّا رسمها وكيفيتها فكانت مسؤولية بيانه على النبي عليه وعلى آله الصلاة والسلام ، إذن نحن نستعين الله على طاعته لأداء أوامره وفروضه متذللين خاضعين بلا رياء ، ولا سمعة وأعظم الطاعات هي طاعة الإمام وأعظم المعاصي هي مخالفته ، عن العسكري عليه السلام قال: « وَ «إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ» مِنْكَ: نَسْأَلُ الْمَعُونَةَ عَلَى طَاعَتِكَ لِنُؤَدِّيَهَا كَمَا أَمَرْتَ، وَنَتَّقِيَ مِنْ دُنْيَانَا مَا نَهَيْتَ عَنْهُ، وَ نَعْتَصِمَ- مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، وَ مِنْ سَائِرِ مَرَدَةِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ مِنَ الْمُضِلِّينَ، وَمِنَ الْمُؤْذِينَ الظَّالِمِينَ- بِعِصْمَتِكَ... وَ قَالَ صلى الله عليه واله عَنْ جَبْرَئِيلَ عليه السلام عَنِ اللَّهِ تَعَالَى قَالَ: قَالَ اللَّهُ إِنَّ أَعْظَمَ الطَّاعَاتِ تَوْحِيدِي، وَتَصْدِيقُ نَبِيِّي، وَالتَّسْلِيمُ لِمَنْ نَصَبَهُ بَعْدَهُ- وَ هُوَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام وَالْأَئِمَّةُ الطاهرين مِنْ نَسْلِهِ صلى الله عليه وآله ، وَإِنَّ أَعْظَمَ الْمَعَاصِي وَأَقْبَحَهَا عِنْدِي الْكُفْرُ بِي وَ بِنَبِيِّي، وَ مُنَابَذَةُ وَلِيِّ مُحَمَّدٍ بَعْدَهُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَأَوْلِيَائِهِ بَعْدَهُ»[3] ؛ وهنا توحي لنا مفردة الاستعانة كما وردت في الآية الكريمة بأنَّنا نحن من نستعين ، وأنَّ الله هو المستعان

الكتب العلمية، بيروت-لبنان:٣/ ٢٥٨.

(١) ينظر : لسان العرب: ١٣/ ٢٩٨ . ومعجم الوسيط (إبراهيم أنيس-عبدالحليم منتصر عطية الصوالحي-محمد خلف الله أحمد) ، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، ط٤، القاهرة، ٢٠٠٤م: مادة عون.

(٢) كتاب الصلاة، الشيخ الأنصاري، ت: لجنة تحقيق تراث الشيخ الأعظم، ط١: ١٤٥ .

(٣) تفسيرالعسكري:٤٥ وما بعدها.

وأنَّ مقام محمد وآله عليهم الصلاة والسلام هو مقام المستعان به ، وأنَّ أداء الفرض وقبوله والرضا من الله سبحانه هو مقام المستعان فيه.

ومن الآيات أيضًا قوله تعالى: ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ...﴾[1]، مفردة الصراط لها دلالتين الإدراكية والثابت في أذهان الناس لها وصار مستعملًا إنَّها الطريق القويم ، أو السبيل الواضح أو المنهج الواضح ، وتلفظ سراط لكنها بلغة قريش لفظة الكتاب تلفظ بالصاد وبهذا المعنى [2] ، أمّا الدلالة الايحائية لمفردة الصراط فزيادة على ما ذكر أعلاه فهي هنا تعني كما وضّحها أئمة أهل البيت عليهم السلام وهي طريق وليّ الله ، حيث طاعة وليّ الأمر الذي أمرنا الله بطاعته في الدنيا تأمننا نار جهنم وعبور الصراط في الآخرة ، وهذه هي النعمة العظمى التي وصف بها الله المطيعين لوليه بالمنعم عليهم فهم لا ضالون متحيرون أي طريق يذهبون، ولا مغضوب عليهم كافرون جاحدون، رُوي عَنِ الامام الْحَسَنِ العسكري عليه السلام أَنَّه قَالَ: « أَيْ قُولُوا : اهْدِنَا صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ، بِالتَّوْفِيقِ لِدِينِكَ وَطَاعَتِكَ، وَهُمُ الَّذِينَ قَالَ اللهُ عزوجل: وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُولئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ ، وَالشُّهَداءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولئِكَ رَفِيقاً» ، وَحُكِيَ هَذَا بِعَيْنِهِ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، قَالَ: ثُمَّ قَالَ: «لَيْسَ هَؤُلَاءِ الْمُنْعَمَ عَلَيْهِمْ بِالْمَالِ وَ صِحَّةِ الْبَدَنِ، وَ إِنْ كَانَ كُلُّ هَذَا نِعْمَةً مِنَ اللهِ ظَاهِرَةً ، أَلَا تَرَوْنَ أَنَّ هَؤُلَاءِ قَدْ يَكُونُونَ كُفَّارًا أَوْ فُسَّاقًا، فَمَا نُدِبْتُمْ إِلَى أَنْ تَدْعُوا بِأَنْ تُرْشَدُوا إِلَى صِرَاطِهِمْ، وَ إِنَّمَا أُمِرْتُمْ بِالدُّعَاءِ بِأَنْ تُرْشَدُوا إِلَى صِرَاطِ الَّذِينَ أُنْعِمَ عَلَيْهِمْ بِالْإِيمَانِ بِاللهِ ، وَالتَّصْدِيقِ لِرَسُولِهِ، وَ بِالْوَلَايَةِ لِمُحَمَّدٍ وَ آلِهِ الطَّيِّبِينَ، وَأَصْحَابِهِ الْخَيِّرِينَ الْمُنْتَجَبِينَ، وَبِالتَّقِيَّةِ الْحَسَنَةِ الَّتِي يُسَلَّمُ بِهَا مِنْ شَرِّ عِبَادِ اللهِ، وَ مِنَ الزِّيَادَةِ فِي آثَامِ أَعْدَاءِ اللهِ وَ كُفْرِهِمْ، بِأَنْ تُدَارِيَهُمْ وَلَا تُغْرِيَهُمْ بِأَذَاكَ وَأَذَى الْمُؤْمِنِينَ، وَ بِالْمَعْرِفَةِ بِحُقُوقِ الْإِخْوَانِ»[3]، فصارت مفردة نستعين دالة بما توجبه على الحاجة الجمعية من المكلّفين إلى الاستعانة ، فنجد أنَّ المكلّف هو المستعين، والله سبحانه هو المستعان، وحجة الله هو المستعان به ، وقبول

(١) سورة الفاتحة ، الآية :٧.
(٢) ينظر: لسان العرب: ١/ ٣١٣ . والمعجم الوسيط ، مادةر ط.
(٣) تفسير العسكري :٥١، البرهان: ١/ ١١٥.

الأعمال هو المستعان فيه ، وأنَّ معرفة حجة الله ضرورية، وصحة المعتقد ضرورية أيضًا لصحة الاستعانة. وأمّا العقيدة التي بسطها لنا الإمام العسكري عليه السلام فنعرفها بعد أنْ نعرف إيحاء صيغة الاستعانة بضرورة وجود المستعان به.

ومن الآيات قوله تعالى:﴿...غيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ﴾[1]، لمفردة الضالين دلالتان الأولى : هي الإدراكية الثابتة في أذهان الناس والمستعملة عندهم ، وهي قريبة مما جاء في المعاجم وتعني الضياع والخسارة ، وهي من ضلل وضدها الهدى، فرجلٌ مضلٌّ لا يوفق لخير ، والضال : الذي لا يعرف طريق الهدى والصلاح، وجاء في بعض التفاسير إنّ الضَّالين هم المشركون بالله، الظالمون كلّها بمفهوم واحد ، واستدلوا على رأيهم هذا لقوله تعالى حكاية عن الشيطان اللعين : ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُواْ أَنفُسَكُم مَّا أَنَاْ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[2]، و لقوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾[3]، «وهو ظاهر من ترتيب الاهتداء والأمن من الضلال أو العذاب الذي يستتبعه الضَّلال، على ارتفاع الظلم ولبس الإيمان به، وبالجملة فقد يحسب أنَّ الضلال والشرك والظلم أمرها واحد وهي متلازمة مصداقًا....»[4] ، ولكن نجد أنَّ لكل لفظة خصوصية وإيحاء حسب الموضع والغرض المستعمل فيه اللفظة هذه دون غيرها، كما يتبين في تفسير الإمام العسكري عليه السلام، ولمعرفة إيحاء الضَّالين ننظر فيها فنجد إنَّها بصيغة جمع المذكر السالم ، وهذا يعني أنَّ جنس الضَّلالة ونوعها هو واحد وقد اشتمل على هؤلاء الموصوفين، وهذا الإيحاء الدلالي يدفعنا للذهاب إلى الإمام المفسِّر للقرآن، لنتعرف على ما يمكن أنْ يعيننا لفهم هذه الخصوصية في التعبير، فنجد لها علاقة بالمنعم عليهم والمغضوب

(١) سورة الفاتحة ، الآية : ٧.
(٢) سورة إبراهيم ، الآية : ٢٢.
(٣) سورة الأنعام ، الآية : ٨٢.
(٤) ينظر : الميزان في تفسير القرآن، العلامة محمد حسين الطباطبائي، منشورات مؤسسة الأعلى للمطبوعات، بيروت -لبنان: ١ / ٢٨ وما بعدها .

عليهم، فهناك الذين قبلوا النعمة وشكروها، والذين جحدوا النعمة وكفروها، والذين ضَّلوا عنها، وهي النعمة ذاتها، «قال أمير المؤمنين عليه السلام: كلّ من كفر بالله فهو مغضوب عليه، ومال عن سبيل الله (عزوجل)، وقال الامام الرضا عليه السلام كذلك، وزاد فيه، فقال: ومن تجاوز بأمير المؤمنين عليه السلام العبودية فهو من المغضوب عليهم ومن الضالين»[1]

وفي موضع آخر نجد أنَّ الضَّالين هم النصارى ونجد أيضًا هم الذين ضَّلوا طريق الولاية، واحتاروا أي الطريق هو سبيل الرشاد[2]، وهذه الظاهرة تسمى تعدد الأوجه التفسيرية؛ فقد تعددت معاني الضالين فلكلّ مقامٍ مقال، ويتضح من ماورد في تفسير الامام العسكري عليه السلام إنّ هذه المفردة توحي بأنّ من كفر بالله ضال مغضوب عليه، إضافة لذلك هنالك ايحاء آخر، وهو أنّ مَنْ كان مغالي في علي بن ابي طالب عليه السلام فهو ضال مغضوب عليه أيضًا، والضال ذلك الذي تحير في دينه وهذه حالة النصارى عندما ضلوا دينهم.

فنلاحظ أنّ الدلالة الادبية في تفسير الامام العسكري عليه السلام أوحت بشكلٍ عام إنّ الضالين هم النصارى،[3] كما أوحت بشكل خاص إنّ الكافر ضال والمغالي ضال أيضًا.

وإذا انتقلنا إلى سورة البقرة لنبحث عن جمال التعبير الإيحائي في تفسير الإمام العسكري عليه السلام لهذه السورة، نجد دلالات إيحائية رائعة المضمون فيها أخبار وأسرار تخصّ آل محمد صلوات الله عليهم أجمعين لا نجدها في تفاسير المخالفين، ولا تتبادر إلى ذهن السامع والقارئ لآيات سورة البقرة، لولا أحاديث الإمام العسكري وما نقله لنا ولله الحمد على هذه النعمة التي وصلت إلينا وتمكنا من الغور في سبر أعماقها.

فمن آيات هذه السورة قوله تعالى: ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾[4]، فمن هم المتقون هنا وما صفاتهم وخصائصهم واتقوا ماذا؟، فأنَّ التعبير بهذه المفردة يوحي بجنس من التقوى واحد خصصت الهداية لأصحابه.

(١) تفسير العسكري:٥٣.
(٢) ينظر :تفسير العياشي : ١/ ٢٤.
(٣) ينظر:المصدر السابق:٥٣.
(٤) سورة البقرة، الآية : ٢.

لو بحثنا عن المعنى الإدراكي للفظة، فهي من وقى واتقى، ورجل موق نفسه من العذاب والمعاصي بالعمل الصالح، والمتقون هم الصائرون إلى التقوى بامتثال الأوامر، واجتناب المعاصي، وهم الذين يصدّقون بما غاب عنهم من الجنة والنار والبعث، ويأتون بحقوق الصلاة ينفقون أموالهم لوجه الله ويؤمنون بكل الكتب السماوية فبذلك أفلحوا وفازوا بالجنة [1].

ولكن كيف كانوا متقين و كيف وصلوا لهذه المرحلة من الإيمان بالغيب؟! ، ثمّ إنَّ هناك الكثير ممن يعتقد بوجود الغيب هذا ولكنَّهم غير متقين، والكثير ممن تصدق وصلّى ولكن لم ينفعه ذلك لا في الدنيا ولا في الآخرة بل كان عمله وبالًا عليه ، كما تروي لنا ذلك أحاديث معتبرة كثيرة ، منها ماجاء عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ أول ما يُسأل عنه العبد إذا وقف بين يدي الله جل جلاله عن الصلوات المفروضات وعن الزكاة المفروضة ، وعن الصيام المفروض وعن الحالمفروض ، وعن ولايتنا أهل البيت، فإنْ أقرَّ بولايتنا ثم مات عليها قبلت منه صلاته وصومه وزكاته وحجه، وإنْ لم يقر بولايتنا بين يدي الله جل جلاله لم يقبل الله عزوجل منه شيئًا من أعماله[2] ، المعنى الإيحائي يضيف إلى كل ما ذكر سابقًا أمرًا أهم من كل ذلك، ويتبين لنا إيحاء مفردة المتقين بهذا التعبير من قول الإمام الصادق عليه السلام: «(هدى)- بيان وشفاء (للمتقين) من شيعة محمد وعلي عليهما الصلاة والسلام أنَّهم اتَّقوا أنواع الكفر فتركوها، واتَّقوا أنواع الذنوب الموبقات فرفضوها، واتَّقوا إظهار أسرار الله تعالى، وأسرار أزكياء عباده الأوصياء بعد محمد صلى الله عليه وآله فكتموها، واتَّقوا ستر العلوم عن أهلها المستحقين لها، وفيهم نشروها»[3] من ذلك يتبين لنا أنَّ المتقين هم شيعة محمد وعلي عليهما الصلاة و السلام الذين خصَّهم الله بالقرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فلا شك أنَّه هدًى لهم، ينبئهم بعلم الغيب، حتى أخبار القائم عليه السلام من آل محمد، والرزق

(١) ينظر: لسان العرب: ١٥/ ١٠٤ .وتفسير الجلالين الميسر، جلال الدين الحلي وجلال الدين السيوطي، تحقيق: د. فخر الدين قباوة: ٣.
(٢) أمالي الصدوق:١٦٧.
(٣) تفسيرالعسكري: ٦٣.

الذي ينفقونه هو العلم الذي تعلموه من آل محمد فهم مفلحون بالولاية ، وهذا مادلتنا عليه الدلالة الادبية ، فلفظة المتقين في هذا الموضع أفادت المعنى الادراكي وأوحت الى معنى آخر إضافة للمعنى الادراكي، ذلك الايحاء الذي لايمكن أنْ يشترك به أهل اللسان قاطبة، إنّما ايحاء خاص أوحى به الامام العسكري عليه السلام.

ومن الآيات أيضًا قوله تعالى : ﴿أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لاَّ يَشْعُرُونَ﴾[1]، ولو نظرنا إلى المعنى الإدراكي لمفردة المفسدون ، لوجدنا أنَّه خلاف الإصلاح، فالمفسد من أساء لغيره، وتفاسد القوم إذا تدابروا وقطعوا الأرحام هذا ما جاء في المعاجم، وهو المستعمل عند أفراد المجتمع، وزيادة على ذلك هناك معنى إيحائي للفظة ،[2] ، فحينما جاءت المفردة معرّفة بالألف واللام مؤكدة بالضمير دلّت على شدة في الإفساد، فهو ليس إفسادًا اعتياديًا، ولذلك نجد تساوقًا بين هذا الإيحاء المتحصل لدى المتلقي، وبين التفسير الذي وضَّحه الإمام العسكري عليه السلام، نقلًا عن الإمام العالم موسى بن جعفر صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين: « واذا قيل لهؤلاء الناكثين للبيعة في يوم الغدير (لا تفسدوا في الارض) بإظهار نكث البيعة لعباد الله المستضعفين فتشوشون عليهم دينهم، وتحيرونهم في مذاهبهم»[3] ، فكانوا مفسدين عندما نكثوا البيعة التي أمرهم الله بها، وتمادوا في عملهم وإفسادهم عندما أظهروا ذلك وشوشوا دين المستضعفين وهم قليلو العلم .

ومن الآيات أيضًا قوله تعالى : ﴿انَّ الله لاَ يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ الله بِهَذَا مَثَلاً يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ﴾[4]، الفاسق كما هو شائع التارك لأمر الله، العاصي له، كما فسق إبليس اللعين عن أمر ربه، عصاه ولم يطعه، والمعنى الإيحائي لم يخرج عن المعنى الإدراكي، فمن لم يُطعْ أولياء أمر الله، وترك الانقياد لهم، وجادل

(١) سورة البقرة ، الآية : ١٢ .
(٢) معجم مقاييس اللغة:٤/ ٥٠٣.
(٣) العسكري: ١٠٦.
(٤) سورة البقرة ، الآية : ٢٦.

بـ (لمَ) و(كيف)، فقد كفر بمحمد وآله، وبذلك فسق عن أمر ربّه بطاعتهم، فكان هؤلاء يستهزؤون بالأمثال التي تُضرب في القرآن الكريم، ويتركون التأمل بها، ويضعونها خلاف ما أراد الله، وعدّوها تضِّل لا تهدي، إلّا أنّها تضّلهم وتهدي غيرهم، فجنوا على أنفسهم بذلك، فهم خرجوا عن طاعة الله بنقضهم العهد، لله بالربوبية، ولمحمد صلى الله عليه وآله بالنبوة، ولعلي بالإمامة، ولشيعتهما بالمحبة والكرامة، وقطعوا صلة رحم آل محمد صلى الله عليه وآله ، فهم المفسدون في الأرض الخاسرون خسارة حرمتهم نعيم الأبد ، وألزمتهم عذاب جهنم [1].

ومن الآيات قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[2]، هناك الكثير من الذين أقحموا انفسهم بمجال التفسير فضلوا وأضلوا يقولون إنّ الفرقان والقرآن والكتاب والذكر كلّها ذات مصداق واحد وهو القرآن ، إلّا إنّ هناك فرقًا بين كل مفردة وأخرى، نجد أنَّ المفهوم الإدراكي لمفردة الفرقان هو ما فرق به بين الحق والباطل، والمؤمن والكافر، وهذا شائع وثابت في أذهان الجميع، ولكنَّه ليس القرآن نفسه، إنَّما يتبين لنا ما هو الفرقان وكيف فرق به بين الحق والباطل، والمؤمن والكافر، وذلك عن طريق إيحاء المفردة الذي صرّح به أهل البيت عليهم السلام في تفسيرهم لهذه الآية الكريمة ، الفرقان هو العهد الذي أمر الله عزوجل بني إسرائيل بتجديده بعد أنْ فلق لهم البحر، ورغم جدالهم وعدم طاعتهم لنبيهم في بادئ الامر، إلّا أنَّ الله نجَّاهم من آل فرعون، وبعد ذلك أمرهم بعهد يجددونه، حيث بدونه لا يُقبل منهم أي عمل، وهو الولاية لمحمد وعلي وآلهما (عليهم الصلاة والسلام) ، هناك من جدده بقلبه ولسانه، فشعّ النور في وجهه، وتبيَّن أنَّه على حق، وأنَّه مؤمن، وهناك من جدده بلسانه فقط ،دون اعتقاد قلبي، فظهر ذلك على وجهه، فبذلك كان هذا العهد الفرقان بين الحق والباطل، والمؤمن والكافر، عن العسكري عليه السلام قال : «الفرقان آتيناه أيضًا، فرّق به ما بين الحق و الباطل، وفرّق ما بين المحقين و المبطلين، و ذلك أنَّه لما أكرمهم الله تعالى بالكتاب و الإيمان به ، والانقياد له ، أوحى الله بعد ذلك إلى موسى عليه السلام: يا موسى هذا الكتاب قد أقرُّوا به، و قد بقي الفرقان، فرَّق ما بين المؤمنين

(١) ينظر: البرهان: ١٥٦-١٥٩.
(٢) سورة البقرة ، الآية :٥٣.

والكافرين، و المحقِّين و المبطلين، فجدد عليهم العهد به، فإنِّي قد آليت على نفسي قسمًا حقًا،لا أتقبل من أحدٍ إيمانًا و لا عملًا، إلّا مع الإيمان به، قال موسى عليه السلام: ما هو يا رب؟ قال الله عزوجل: يا موسى تأخذ على بني إسرائيل:

إنَّ محمدًا خير البشر، وسيد المرسلين، وأنَّ أخاه ووصيه عليًا خير الوصيين، وأنَّ أولياءه الذين يقيمهم سادة الخلق، وأنَّ شيعته المنقادين له، المسلمين له ولأوامره و نواهيه و لخلفائه، نجوم الفردوس الأعلى و ملوك جنات عدن. قال: فأخذ عليهم موسى عليه السلام ذلك، فمنهم من اعتقده حقًا، و منهم من أعطاه بلسانه دون قلبه، فكان المعتقد منهم حقًا يلوح على جبينه نور مبين، ومن أعطى بلسانه دون قلبه ليس له ذلك النور، فذلك الفرقان الذي أعطاه الله عزوجل موسى عليه السلام وهو فرق ما بين المحقين و المبطلين، ثم قال الله عزوجل: لعلكم تهتدون، أي لعلكم تعلمون أنَّ الذي به شرف العبد عند الله عزوجل- هو اعتقاد الولاية، كما شرف به أسلافكم» [1]. تلك دلالة إيحاء لفظة الفرقان، والتي أيدتنا عليها الدلالة الواردة عند آل محمد عليهم الصلاة والسلام.

وكذلك من جميل قوله عزوجل وكل قوله جميل : ﴿ وإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ الله وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُواْ الصَّلاةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾[2]، فلمفردة الوالدين في هذه الآية الكريمة دلالة وهي: الدلالة الإدراكية، أي ما رسخ عند أفراد المجتمع من استعمال للمفردة بالمعنى الذي تعارفوا عليه، وهما الأب والأم اللذيّنِ ولدا الابن أي أصل النسب، والإمام العسكري عليه السلام بيَّن هذه الدلالة، والظاهر من الآية وهو أيضًا في بني إسرائيل، عندما أخذ عليهم العهد «بأن يعملوا بوالديهم إحسانًا مكافأة على إنعامهما عليهم، و وإحسانهما إليهم...» [3]، ثم ذكر ذوي القربى وهم قرابات الوالدين فالإحسان لهم كرامة للوالدين.

(١) العسكري: ٢٠٧.
(٢) سورة البقرة، الآية :٨٣.
(٣) العسكري:٢٦٥.

ولكن إضافة على ذلك هناك معنى إيحائي للمفردة ذكره الإمام أيضًا، فمن المعروف عند الموالين للحبيب محمد وآله عليهم صلوات الله وسلامه أنَّه جاء في أحاديثهم إنّ ذوي القربى في القرآن هم أهلُ بيتِ النبوة ومعدن الرسالة، هم آل الله، الذين مودتهم أجر الحبيب المصطفى على الخلق لقوله تعالى؛ : ﴿ قُل لّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾[1]، ولقول الحبيب عليه الصلاة والسلام : « أعطوا الأجير أجره قبل أنْ يجف عرقه »[2]، والمعصوم أجير الأمّة، عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «ألا وإنيّ أنا أبوكم، ألا وإنيّ أنا مولاكم، ألا وإنّي أنا أجيركم»[3]، إذن عندما أوصى الله بالوالدين، وبعدها مباشرة بذي القربى وهم آل محمد، عن فاطمة عليها السلام: « أبوا هذه الأمة محمد وعلي، يقيمان أودهم وينقذانهم من العذاب الدائم إنْ أطاعوهما، ويبيحانهم النعيم الدائم إنْ وافقوهما»[4]، فيتبين إنَّ المعنى الإيحائي للوالدين هو إنَّهما محمد وعلي، وهما عليهما الصلاة والسلام لهما حق علينا أعظم من حق أبوي النسب فهما المنقذان من النار، هما المنفقان علمهما علينا، هما المربيان لنا حقًا.

ومن الآيات أيضًا قوله تعالى : ﴿ وَاتَّقُواْ يَوْمًا لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَ تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ﴾[5]، العدل في المفهوم الإدراكي هو العدل أو الفريضة، ويعني في هذه الآية هو مهما قُدِّم من فداء عند النزع فلا يقبل من المرء ويترك مع أعماله [6]، وزيادة على ذلك فلمفردة العدل معنى إيحائي عند أهل البيت (عليهم الصلاة والسلام) ، فظاهر الآية يقصد به ما أنعم الله به على بني إسرائيل وفضَّلهم على العالمين، ببركة محمد وآل محمد في ذلك الزمان، أمّا باطنها ، أو تأويلها فهو شفاعة محمد وآله، وخيار شيعتهم من سلمان ومقداد وأبي ذر ونظائرهم في الأزمان الأخرى، لمن كان مُقصرًا من شيعتهم ومحبيهم ومواليهم فيشفعوا لهم، وذلك هو الفداء لهم ونقلهم إلى الجنان بحضرة

(١) سورة الشورى ، الآية : ٢٣.
(٢) ميزان الحكمة: محمد الري شهري، التنقيح الثاني، الناشر دار الحديث، ط ١ : ١/ ٢٦.
(٣) الأمالي: الشيخ المفيد، تحقيق: حسين الاستاذ ولي- علي أكبر غفاري ،ط٢ ، ١٤١٤هـ: ٣/ ٣٥٣.
(٤) العسكري:٢٦٨.
(٥) سورة البقرة ، الآية :١٢٣.
(٦) ينظر: العين:٣/ ١١٠.

آل محمد عليهم الصلاة والسلام [١].

فمفردة الشفاعة توحي بما لابدَّ منه وهو الشفيع ، وموضوع الشفاعة والمشفَّع والمشفع لديه، وهنا لا نجد من يجيب عن هذه المعاني التي توحي بها المفردة إلّا آل محمد عليهم الصلاة والسلام.

ومن الآيات أيضًا قوله تعالى : ﴿ صِبْغَةَ الله وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ الله صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾[٢]، الصبغة في القرآن هي االعقيدة التي يتبعونها الناس، أي يدينون بها ، والفطرة التي فطر الله عليها الخلق، هذا هو المدلول الإدراكي للمفردة والشائع في حديث الناس[٣]، ولكن أي دين هذا وقد ثبت في أذهان الناس تعدد الأديان بتعدد الكتب السماوية إلّا إنّ الدين عند الله الإسلام، فهو دينٌ واحد عند كل الأنبياء، إذ ليس المقصود من الدين هو شريعة محددة من شرائع الأنبياء والمرسلين ، بل إنَّه دين الفطرة، فالجميع يولد على الفطرة، فهل يعني الجميع يولدون ودينهم محدد أهو دين الاسلام؟ ، أم تلك الأديان التي ما أنزل الله بها من سلطان ، عن النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم): «كل مولود يولد على الفطرة، فما يزال عليها حتى يعرب عنها لسانه، فأبواه يهوّدانه أو ينصّرانه أو يمجّسانه»[٤]، الأبوان يغذيانه بالعقائد الصحيحة ، أو السقيمة (هذا ما وجدنا عليه آبائنا) والمعنى الإيحائي للمفردة لا يخرج عمّا ذُكر أعلاه، إلّا أنّه زيادة عليه، هذه الفطرة هي ولاية محمد وآله عليهم الصلاة والسلام التي فطر الناس عليها في الميثاق على كل الخلائق في كل الأزمان[٥] ، إذن فطرة الانسان مجبولة على الايمان بالله، والتمسك بهديه، وهي الشهادات الثلاث لله عزوجل ومحمد ﷺ وولاية علي والأوصياء من بعده ﷺ ، فالإنسان مفطور على الاعتراف بالله لا شريك له ، بما يجد من الحاجة إلى الأسباب المحتاجة إلى ما ورائها وهو التوحيد، وبما يجد من النقص المحوإلى دين يدين به ليكمله وهو النبوة ، وبما يجد من الحاجة إلى الدخول في ولاية

(١) ينظر : البرهان: ٣/ ١١٢،١١٣.
(٢) سورة البقرة ، الآية : ١٣٨.
(٣) ينظر: العين، ٢ / ٣٧٧ . وتفسير الجلالين : ٣٨.
(٤) بحار الانوار: ٦٧/ ١٣٣.
(٥) ينظر: المصدر نفسه :٣/ ٢٨١ . والبرهان:١/ ٣٤٠.

الله بتنظيم العمل بالدين، وهو الولاية، والفاتح لها في الإسلام هو علي عليه السلام.

الخاتمة

تمثل الدلالة الأدبية دراسة النصوص دلاليًا على وفقِ الاتجاه الأدبي المعني بالحمولة المعرفية والأدبية، فهي تختص بالمتغير الفردي، على العكس من الدلالة اللغوية التي تختص بالثابت المشترك لجميع أهل اللسان.

ليست المفردة منعزلة عن محيطها الثقافي ؛ لذا فهي ذات دلالة إيحائية مستمدة لا من معناها المعجمي، بل من معناها الإدراكي وفقًا للتصورات الذوقية للمتكلم والمتلقي، وهذا ما أبرزه تفسير الإمام العسكري عليه السلام.

المصادر و المراجع

١. القرآن الكريم

٢. أثر السياق في ترجيح دلالة النص لدى الزمخشري «الكشاف أنموذجا» ، دايد عبد القادر، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في اللغة والادب العربي- مشروع اللسانيات النصية-، جامعة وهران احمد بن بله، كلية اللغات والآداب والفنون،٢٠١٧ م-٢٠١٨م.

٣. إقبال الاعمال ، للسيد ابن طاووس .

٤. الامالي،الشيخ الصدوق، (ت ٣٨١هـ) ط ١ ، البعثة ، قم / ايران ، ١٤١٧ هـ.

٥. الأمالي: الشيخ المفيد، تحقيق: حسين الاستاذ ولي- علي أكبر غفاري ،ط٢ ، ١٤١٤هـ.

٦. إنتاج الدلالة الأدبية، للدكتور صلاح فضل، مؤسسة المختار للطباعة والنشر، ط١، القاهرة.

٧. الآيات المتعلقة بالسيدة الزهراء عليها السلام دراسة في صور الدلالة الادبية لنهج الكتاب والعترة ، بحث مقدم الى مجلس كلية العلوم الاسلامية بجامعة كربلاء وهو جزء من متطلبات الحصول على شهادة الماجستير في لغة القرآن وآدابها رسالة، كرار جواد كاظم المفرجي، ٢٠١٩ م.

٨. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، تأليف العلم العلامة الحجة فخر الأمة المولى الشيخ محمد باقر المجلسي « قدس الله سره » ، مؤسسة الوفاء، بيروت – لبنان .

٩. تفسير البرهان في تفسير القرآن ، العلامة المحدث السيد هاشم البحراني، تح : لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين.

١٠. تفسير الجلالين الميسر، جلال الدين الحلي وجلال الدين السيوطي، تحقيق: د. فخر الدين قباوة.

١١. تفسير العياشي: أبو النضر محمد بن مسعود العياشي، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة/ قم، ط١، ١٤٢١هـ.

١٢. تفسير القرآن، العلامة محمد حسين الطباطبائي، منشورات مؤسسة الأعلى للمطبوعات، بيروت –لبنان.

١٣. تفسير الإمام أبي محمد الحسن بي علي العسكري عليه السلام ، تحقيق: مؤسسة الامام المهدي عجل الله فرجه ، ط٢ ،٢٠١٧م .

١٤. الدلالة الأدبية مراجعة ونقد وتأصيل، أ.م.د. أمجد الفاضل، جامعة كربلاء–كلية العلوم الإسلامية / قسم اللغة العربية، بحث مختار من محور قسم اللغة العربية في المؤتمر العملي الدولي الثالث لكيلة الآداب في جامعة بابل الموسوم ب(العلوم الإنسانية ومسارات المعرفة) ، ٢٠١٩م.

١٥. دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس،ط٢ ، مطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة،١٩٦٣ م.

١٦. شظايا لسانية ، للدكتور مجيد الماشطة، دار السياب، لندن، ط١ ، ٢٠٠٨م.

١٧. علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي لمنقور عبدالجليل ،اتحاد الكتاب العرب، دمشق ،٢٠٠١م.

١٨. علم الدلالة، ترجمة :د. صبري إبراهيم السيد، جامعة عين شمس، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٥م.

١٩. علم الدلالة، أحمد مختار عمر ، علم الكتب، القاهرة، ط٤ ، ١٩٩٣م .

٢٠. العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحق: د. عبد الحميد هنداوي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان.

٢١. كتاب الصلاة، الشيخ الأنصاري، ت: لجنة تحقيق تراث الشيخ الأعظم، ط١ .

٢٢. لسان العرب ، ابي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الافريقي، دار صادر بيروت ، موقع المكتبة الالكترونية الشاملة لرفع الكتب.

٢٣. معجم الوسيط (إبراهيم أنيس-عبدالحليم منتصر عطية الصوالحي-محمد خلف الله أحمد) ، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، ط٤، القاهرة، ٢٠٠٤م.

٢٤. معجم مقاييس اللغة، ابن فارس الحسين احمد بن زكريا، دار الفكر، ١٩٧٩م.

٢٥. من أسرار اللغة في الكتاب والسنة ، معجم لغوي ثقافي ، للعلامة د. محمود محمد الطناحي ، المكتبة المكية ، دار الفتح للدراسات والنشر .

٢٦. ميزان الحكمة: محمد الريشهري، دار الحديث للطباعة والنشر، ط١، ١٤٢٢هـ.